# فتح الرب الغني

## بتوضيح شرح السنة للمزني

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي

تحقيق وتخريج

حسن بن إبراهيم الذغيري

دار المنهاج

# فتح الرب الغني

## بتوضيح شرح السنة للمزني

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



رقم الإيداع: ١١١٨١/ ٢٠٠٩م



٨١ شارع الهدي المحمدي - من أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة
جوال: ٨١ ٤٠ ٠١٨٨٨٨/٠٠٢ - ٧٨ ٤٠ ٠١٨٨٨٨/٠٠٢
١٣ ٤١ ٠١٨٨٨٨/٠٠٢ - ٩٧٤ ٧٣ ٤٠ ٠١٢/٠٠٢
E-Mail : daralmenhaj@hotmail.com / daralminhaj@yahoo.com

# فتح الرب الغني

## بتوضيح شرح السنة للمزني


تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي

تحقيق وتخريج

حسن بن إبراهيم الدغيري



دار المنهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمَّد وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه واستن بسنته إلىٰ يوم الدين.

**أما بعد:**

فيسرنا أن نقدم لكم «**شرح السنة**» للشيخ أحمد بن يحيىٰ النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأصل هذا الشرح دروس ألقاها في دورة الشيخ عبد الله بن محمَّد القرعاوي العلمية الثامنة بجامع المكتبة السلفية بصامطة.

وقد قُرئ علىٰ الشيخ من الكتاب الذي حققه الشيخ جمال عزون وقد قمت بالآتي:

١- ترجمة الإمام إسماعيل بن يحيىٰ المزني، وقد اختصرتها من الترجمة الَّتي جمعها الشيخ جمال عزون.

٢- ترقيم الآيات ونسبتها إلىٰ مواضعها من القرآن الكريم.

٣- تخريج الأحاديث وعزوها إلىٰ مصادرها.

٤- بيان درجة الحديث قدر المستطاع.

٥- إضافة بعض التعليقات، ونقل بعضها من التعليقات الَّتي قام الشيخ جمال عزون بإضافتها في تحقيقه للرسالة المذكورة.

٦- التعريف بالأعلام الذين ورد ذكرهم في الشرح بترجمةٍ مختصرة.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

كتبه تلميذه

**حسن بن إبراهيم هادي دغريري**

# ترجمة المزني

## ١ - كنيته، اسمه، نسبه:

هو أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيىٰ بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري، تلميذ الشافعي.

والمزني **-بضم الميم وفتح الزاي وفي آخرها النون-**: هذه النسبة إلىٰ مزينة بن أد ابن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، واسم مزينة: عمرو، وإنَّما سمي باسم أمه مزينة بنت كلب بن وبرة، ومزينة هي أم القبيلة المشهورة.

## ٢- مولده وأسرته:

مولده في سنة موت الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومائة، ويظهر أن أسرته كانت محبة للعلم وأهله، تحرص علىٰ تنشئة أفرادها تنشئة علمية، فقد ذكر العلماء أختًا للإمام المزني، وأنَّها كانت تحضر مجلس الشافعي، ونقل عنها الرافعي في الزكاة، وذكرها ابن السبكي والإسنوي في «الطبقات».

وكذلك الربيع بن سليمان المرادي فهو أخ للمزني من الرضاعة، وابن أخته أبو جعفر الطحاوي الإمام المشهور صاحب العقيدة الطحاوية.

## ٣- شيوخه:

من أبرز مشايخه الذين أخذ عنهم:

١- محمَّد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ).

٢- علي بن معبد بن شداد البصري (ت ٢١٨هـ).

٣- نعيم بن حماد الخزاعي (ت ٢٢٨هـ).

٤- أصبغ بن نافع (ت ٢٢٥هـ).

**ويعود قلة مشايخه إلىٰ أمرين:**

**أحدهما:** ملازمته الشديدة لشيخه الشافعي.

**الثاني:** أنه لم تكن له رحلة إلىٰ البلدان الإسلامية؛ بل كان يكتفي بعلماء مصر ومن يرد إليها من العلماء.

## ٤- تلاميذه:

أخذ عن المزني خلق كثير، ومن أبرز تلاميذه:

١- إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة (ت ٣١١هـ).

٢- أبو جعفر الطحاوي (ت ٣٢١هـ).

٣- أبو القاسم بن بشار الأنماطي شيخ ابن سريج (ت ٢٨٨هـ).

٤- شيخ البصرة زكريا بن يحيىٰ الساجي (ت ٣٠٧هـ).

٥- أبو الحسن بن جوصان (ت ٣٢٠هـ).

٦- أبو نعيم بن عدي.

٧- أبو محمَّد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ).

## ٥- مصنفاته:

كثير من كتب المزني مفقودة، وقد أشار إلىٰ بعضها المترجمون له، ومن كتبه:

١- إفساد التقليد.

٢- الأمر والنهي علىٰ معنىٰ الشافعي.

٣- الترغيب في العلم.

٤- الجامع الكبير.

٥- الجامع الصغير.

٦- الدقائق والعقارب.

٧- **شرح السنة؛ وهو كتابنا هذا.**

٨- المبسوط في الفروع.

٩- المختصر الكبير.

١٠- المختصر الصغير.

١١- مختصر المختصر، المشهور بـ: مختصر المزني.

وقد تعب المزني في تأليف هذا الكتاب كثيرًا بحيث استغرق في تأليفه عشرين سنة، قال محمَّد بن إسحاق: «سمعت المزني يقول: كنت في تأليف هذا الكتاب عشرين سنة، وألفته ثلاث مرات، وغيَّرته».

وقد مدح العلماء هذا الكتاب كثيرًا حتَّىٰ إن الإمام المزني -وهو مؤلفه- قال: «لو أدركني الشافعي لسمع منِّي هذا المختصر».

**وقال أبو العباس بن سريج:** «وهو أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي، وعلىٰ مثاله رتبوا، ولكلامه فسروا وشرحوا».

١٢- المسائل المعتبرة.

١٣- معتقد أو عقيدة أحمد بن حنبل.

١٤- المنثورات.

١٥- نهاية الاختصار.

١٦- الوثائق.

١٧- الوسائل.

**٦- وفاته:**

**قال ابن خلكان:** «تُوفي لستٍّ بَقِيَتْ من شهر رمضان سنة أربع وستين ومائتين بمصر، ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعي، بالقرافة الصغرىٰ بسفح المقطم -رحمه الله تعالىٰ-، وذكر ابن زولان في «تاريخ الصغير» أنه عاش تسعًا وثمانين سنة، وصلَّىٰ عليه الربيع بن سليمان المؤذن صاحب الشافعي».

وقد ذكر البيهقي في «مناقب الشافعي» عن علي بن محمَّد بن أبي سليمان المصري أن المزني مات سنة أربع وستين ومائتين، ويقال: كان ابن سبع وثمانين، وصلَّىٰ عليه العباس بن أحمد بن طولون.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

**عصمنا الله وإياكم بالتقوىٰ، ووفقنا وإياكم لموافقة الهدىٰ.**

**أما بعد: فإنك -أصلحك الله- سألتني أن أوضح لك من السنة أمرًا تصبر نفسك علىٰ التمسك به، وتدرأ به عنك شبه الأقاويل، وزيغ محدثات الضالين.**

**وقد شرحت لك منهاجًا موضحًا منيرًا لم آلُ نفسي وإياك فيه نصحًا، بدأت فيه بحمد الله ذي الرشد السديد.**

**الحمد لله أحق من ذُكر، وأولىٰ من شُكر، وعليه أُثْني، الواحد الصمد، الذي ليس له صاحبة ولا ولد، جل عن المثيل، فلا شبيه له ولا عديل، السميع البصير، العليم الخبير، المنيع الرفيع.**

## الشرح

**قال المؤلف: الحمد لله أحق من ذكر:** قال الله ﷻ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢].

**وأولىٰ من شكر:** قال تعالىٰ: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

**وعليه أُثْني:** أي: أُثني عليه بمحامده، وما له من الإجلال والتعظيم.

**الواحد الصمد:** من أسمائه: الواحد، والأحد، والصمد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١-٢]. أحد في ذاته، وأحد في صفاته، غالب لا يُغلب، قاهر لا يقهر، وعزيز لا يضام في عزه، ولا يحتاج إلىٰ معينٍ ولا وزيرٍ.

**ليس له صاحبة ولا ولد جل عن المثيل**: ليس له شبيه، ولا نظير جلَّ عن الصاحبة والولد، وعن المثيل، قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

**فلا شبيه له ولا عديل**: يعني ليس هناك أحد يعدله، والعديل: هو النظير والمساوي؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١].

**يعني**: هو الذي فعل هذه الأمور، خلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الظلمات والنور، ومع ذلك فإن المشركين يعدلون به غيره ممَّن لم يخلقوا شيئًا وهم يُخلقون.

**السميع**: السميع بسمعٍ يسمع جميع الأصوات.

**البصير**: الذي نفذ بصره كل المبصرات.

**العليم**: الذي أحاط علمه بجميع المعلومات ممَّا في الأرض والسموات وغير ذلك من المخلوقات.

**الخبير**: مرادف للعليم، من الخبرة وهو العلم، أو تمام العلم.

**أما المنيع**: فمعناه الممتنع عن كل من يقصده، فهو ﷻ ذو العزة والعظمة وذو القوة والقهر لغيره.

**أما الرفيع**: فمعناه مأخوذ من الرفعة، والرفعة يقصد بها رفعة المكان، ورفعة المكانة، وهو الذي اتصف بهما.

**فرفعة المكان**: كونه استوىٰ علىٰ العرش.

**ورفعة المكانة**: أنه هو الإله الحق الذي تخضع لجبروته وعزته وكماله كل المخلوقات.

# العلو

عالٍ على عرشه في مجده بذاته، وهو دانٍ بعلمه من خلقه؛ أحاط علمه بالأمور، وأنفذ في خلقه سابق المقدور، وهو الجواد الغفور، و﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩].

## الشرح

**قوله: العلو**: ربنا سبحانه وتعالى عالٍ على عرشه.

**قال: في مجده بذاته: وأقول**: إن علوّ الله عز وجل عليه أدلة كثيرة قال سبحانه وتعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٦-١٧].

وقال -جل من قائل-: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]. .

وقال ﷺ لجارية معاوية بن الحكم: **«أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة»**[1].

وأهل السنة يعتقدون بأن الله مستوٍ على عرشه عالٍ على خلقه بائن منهم

---

[1]) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السُّلَمي رضي الله عنه.

بذاته وهو معهم بعلمه وهيمنته وقهره وغلبته.

**قال هنا: وهو دانٍ بعلمه من خلقه:** الله ﷻ مُطَّلع علىٰ عباده، يعلم وساوس الصدور، وخفايا الضمائر، ومكنون القلوب، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦].

فأخبر باطِّلاعه علىٰ وساوس النفوس وقربه من كل عبد قربًا به يكون أقرب إلىٰ عبده من حبل الوريد.

**وحبل الوريد:** هو العرق المحيط بالعنق، وقال -جل من قائل-: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧].

**قال: أحاط علمه بالأمور وأنفذ في خلقه سابق المقدور، وهو الجواد الغفور و﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾** [غافر:١٩].

**أقول:** هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، كما سبق: أنَّهم يعتقدون أن الله فوق عرشه بذاته، وأنه مع خلقه بعلمه، وأن قضاءه فيهم نافذ، وقدره فيهم جارٍ، يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.



## القضاء والقدر

**فالخلق عاملون بسابق علمه، ونافذون لما خلقهم له من خير وشرٍّ، ولا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعًا، ولا يجدون إلىٰ صرف المعصية عنها دفعًا.**

### الشرح

**أقول:** خلق الله العباد، وأنفذ فيهم مشيئته، وحكم فيهم بعدله، لكنه قد جعل لعباده مشيئة واختيارًا، فهم يختارون الطاعة أو المعصية، وهم يختارون سبيل السعادة أو الشقاوة؛ ولكنهم في ذلك لا يخرجون عن إرادته، ولا يستقلون بمشيئتهم عن مشيئته، أمره[1] فيهم نافذ، وقدره عليهم جارٍ وكلٌّ منهم إلىٰ ما كتبه لهم أو عليهم صائر.

ونؤمن بأن الله لا يظلم أحدًا، وأن الناس أنفسهم يظلمون، فمن هُدِيَ فهو بفضل الله هُدِيَ، ومن شَقِيَ فهو بعدله شَقِيَ، وهم مع ذلك جعل الله لهم الاختيار والمشيئة التي يدينهم بها، له فيهم الحكمة البالغة، وله عليهم الحجة الدامغة، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

---

(١) المقصود به: الأمر الكوني القدري.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٢-٣].

**نعتقد بأن القدرية ضالون، وهم ينقسمون إلىٰ قسمين:**

١- **نفاة القدر**: الذين يقولون: لا قدر، أو يقولون: إن الله خلق الخير، ولم يخلق الشر، وقدَّر الطاعة، ولم يقدِّر المعاصي، هؤلاء مذهبهم باطل [(١)].

والله ﷻ قد أخبرنا بأنه خلق العباد، وقدَّر أعمالهم، وهم لا يمكن أن يخرجوا عن قدر الله تعالىٰ، فمن قال: إن الله خلق الخير، ولم يخلق الشر فقد ضل.

**والإرادة إرادتان:**

١- **إرادة شرعية.**

٢- **إرادة قدرية كونية.**

قال تعالىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧].

فمن قال بهذا القول الذي سبقت الإشارة إليه فقد أثبت خالقين، وقد أخبر الله ﷻ عن الجن أنَّهم قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن:١٠]. فالعمل ينسب إلىٰ العباد كسبًا واختيارًا مع أنَّهم لا يخرجون عن قدر الله فيهم، وبهذا الكسب والاختيار يؤاخذهم الله.

**والدليل علىٰ ذلك:** قوله ﷻ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ

---

(١) هذا ردٌّ علىٰ القدرية الذين يزعمون أن الله لا يعلم المعاصي حتىٰ تكون، وقد سأل المزني شيخه الشافعي فقال: يا أبا عبد الله من القدرية؟ فقال: هم الذين يزعمون أن الله لا يعلم المعاصي حتىٰ تكون. أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي (٢/ ٣٥٤) بإسناده. [عزون]

مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام:١١٠].

وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:٥].

**ومن لوازم قولهم:** أنه يقع في ملك الله ما لا يريده فيكون مغلوبًا، وهذا القول قول باطل.

وأصحاب هذا القول رد عليهم ابن عمر[١] رضي الله عنهما حين قال له ذلك الرجل: «إنه قد ظهر قِبَلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم -وذكر شأنهم-، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُف. قال: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنِّي بريء منهم، وأنَّهم برآء منِّي، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قَبِلَ الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر»[٢].

**وفي الجانب الآخر:**

٢- **القدرية المجبرة:** الذين يقولون: إن العبد مجبور علىٰ أعمال الشر مجبور علىٰ الكفر والشرك وكذبوا، فمذهبهم هذا باطل، ومن لوازم ذلك أن الله قد ظلمهم حيث جبرهم علىٰ الكفر والشرك ويعذبهم علىٰ ذلك، وَرَدُّ ذلك في آيات من كتاب الله؛ قال -جل من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٠]. وقال -جل وعلا-: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي رضي الله عنهما، أبو عبد الرحمن، وُلد بعد المبعث بيسير، واستصغر في يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشد الناس اتباعًا للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها.

(٢) أخرجه مسلم (٨).

فالله ﷻ عدل لا يعذب أحدًا إلا بذنبه، والله ﷻ قد جعل للعباد كسبًا واختيارًا يعاقبهم، أو يثيبهم عليه، قال تعالىٰ: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. وقال في أهل الجنة: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.



# الملائكة

**خلق الخلق بمشيئته من غير حاجة كانت به، فخلق الملائكة جميعًا لطاعته، وجبلهم علىٰ عبادته: فمنهم ملائكة بقدرته للعرش حاملون، وطائفة منهم حول عرشه يسبحون، وآخرون بحمده يُقدسون، واصطفىٰ منهم رسلاً، وبعض مدبرون لأمره.**

## الشرح

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، كما أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان.

**فالملائكة -كما وصف صاحب المتن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: خلقهم الله عَزَّوَجَلَّ وجميع الخلق من غير حاجة إليهم، ولكن خلقهم لحكمة وأوجدهم لغاية يريدها منهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فالملائكة كلهم مجبولون علىٰ طاعته -جل وعلا- لا يعصونه طرفة عين، فمنهم حملة العرش، ومنهم الملائكة الكروبيون الذي هم حول العرش.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر:٧].

ومنهم ملائكة جعلهم الله رسلًا يأمرهم بأمره فيأتمرون، ومنهم الحفظة،

ومنهم المعقبات، ومنهم خُزَّان الريح، ومنهم خزنة النار، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم ملائكة البحار، ومنهم ملائكة الجبال، ومنهم ملائكة موكلون بالسحاب، ومنهم ملائكة في السموات يعبدون الله.

قال ﷺ: «**أَطَّتِ السماء، وحُقَّ لها أن تئطَّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله**»(١).



(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٤٩).

**فائدة:**

**من أنواع الملائكة أيضًا غير ما ذكر**: الملائكة الموكلون بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت، والملائكة الذين يتتبعون مجالس الذكر، والملائكة الموكلون بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه؛ بعث الله إليه ملكًا وأمره بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، وغيرهم كثير.

وقد ذكر أسماء بعض الملائكة كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك خازن النار، كما قد يتحول الملك بأمر الله تعالىٰ إلىٰ هيئة رجل كما حصل لجبريل حين أرسله الله تعالىٰ إلىٰ مريم فتمثل لها بشرًا سويًا، وحين جاء إلىٰ النَّبي ﷺ وهو جالس في أصحابه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالىٰ إلىٰ إبراهيم ولوط كانوا علىٰ صورة رجال.

## آدم عليه السلام

**ثم خلق آدم بيده، وأسكنه جنته، وقبل ذلك للأرض خلقه، ونهاه عن الشجرة قد نفذ قضاؤه عليه بأكلها، ثم ابتلاه بما نهاه عنه منها، ثم سلط عليه عدوه وأغواه عليها، وجعل أكله لها إلىٰ الأرض سببًا، فما وجد إلىٰ ترك أكلها سبيلاً، ولا عنه لها مذهبًا.**

### الشرح

**خلق الله آدم بيده:** ولم يباشر شيئًا بيده إلا ثلاثًا: خلق آدم بيده، وكتب التوراة لموسىٰ بيده، وغرس جنة عدن بيده[1].

وقد تحدث القرآن عن خلق آدم في أول سورة البقرة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

**والمهم:** أن الله خلقه للأرض ولو لم يكن كذلك ما جعل عمره مقدرًا بالسنين فكان عمره ألف سنة مكث مائتين وخمسين سنة في السماء ثم أكل من

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٥٥) من حديث عبد الله بن الحارث، مرفوعًا.
وأخرجه الآجري في الشريعة (ص ٣٠٤)، وعثمان بن سعيد في ردِّه علىٰ بشر المريسي (١/ ٢٦٥) عن كعب الأحبار من قوله، وانظر: مختصر العلو للألباني (ص٧٥).

الشجرة بإغواء من إبليس -عليه لعنة الله، ونعوذ بالله منه- حيث سلطه الله عليه، وعلىٰ زوجه فقاسمهما أنه لهما من الناصحين: ﴿فَدَلَّـٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ﴾ [الأعراف:٢٢].

ثمّ أهبطهما الله ﷻ إلىٰ الأرض بعد أنْ بيّن لهما عداوة الشيطان، فكانت تلك إرادته.

**ولقد قال بعض السلف:** خلق الله آدم للأرض، وذلك أنه سئل: هل خلق الله آدم للأرض أم للسماء؟ فقال: بل للأرض[١]. وكان في إغوائه مصلحة:

**أولاً:** ليعرف عاقبة المخالفة لأمر الله.

**ثانيًا:** ليتبين عدوه اللدود حتىٰ يكون علىٰ حذر منه، هو وذريته.

**ثالثًا:** لينفذ فيهما القضاء المقدور فيهبطوا إلىٰ الأرض، وتكون علىٰ الأرض معركة الصراع بين الحق والباطل، والله ﷻ لا يضيع أهل الحق، ولا يتركهم بدون بيان قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ﴾ [التوبة:١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [الأعراف:٣٥-٣٦].

---

(١) أخرج أبو داود (٤٦١٤) عن خالد الحذاء قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، أخبرني عن آدم للسماء خُلق أم للأرض؟ قال: بل للأرض. قلت: أرأيت لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة؟ قال: لم يكن له منه بُدٌّ. قلت: أخبرني عن قوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢-١٦٣]. قال: إن الشياطين لا يفتنون بضلالتهم إلا من أوجب الله عليه الجحيم.

قال الألباني في صحيح سنن أبي داود: حَسَن الإسناد، مقطوع.

# الجنة والنار

**ثم خلق للجنة من ذريته أهلًا فهم بأعمالها بمشيئته عاملون، وبقدرته وبإرادته ينفذون، وخلق من ذريته للنار أهلًا، فخلق لهم أعينًا لا يبصرون بها، وآذانًا لا يسمعون بها، وقلوبًا لا يفقهون بها فهم بذلك عن الهدىٰ محجوبون، وبأعمال أهل النار بسابق قدره يعملون.**

## الشرح

خلق الله الجنة والنار قبل أن يخلق آدم، وخلق للجنة أهلًا، وللنار أهلًا، فأهل الجنة ميسرون لعملها، وأهل النار كذلك، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠].

وقال -جل من قائل-: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:١-٣].

وقال الصحابة للنبي ﷺ: «يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيءٌ قضي عليهم، ومضىٰ فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما

أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: **لا؛ بل شيء قضي عليهم ومضىٰ فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله** عز وجل : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس:٧-٨]»[1]. فأهل الجنة يُيَسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار يُيَسرون لعمل أهل النار.

**فقول المؤلف: ثم خلق للجنة من ذريته:** أي: من ذرية آدم أهلًا، فهم بأعمالها بمشيئته عاملون.

**وكذلك قوله:** وخلق من ذريته للنار أهلًا... إلىٰ آخر ما قال المؤلف: والله تعالى قد وصف الكفار بأن: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقال -جل من قائل-: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٢-٢٣].

والمهم؛ أن أهل الجنة قد عُرفوا عند الله ويُيَسرهم في الدنيا لعملها، وأهل النار قد عُلموا عند الله ويُيَسرهم في الدنيا لعملها.



(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٠) من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنهما .

# الإيمان

والإيمان: قول وعمل [مع اعتقاده بالجنان، قول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان]، وهما سيان ونظامان وقرينان، لا نفرق بينهما، لا إيمان بلا عمل، ولا عمل إلا بإيمان.

والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون، وبصالح الأعمال هم متزايدون، ولا يخرجون بالذنوب من الإيمان، ولا يُكفَّرون بركوب كبيرة ولا عصيان، ولا نوجب لمحسنهم الجنان بعد من أوجب له النبي ﷺ، ولا نشهد على مُسيئهم بالنار.

## الشرح

**تعريف الإيمان:** الإيمان اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، قال الله ﷻ: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]. وقال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المدثر:٣١]. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]. إلى غير ذلك.

**وأجمع أهل السنة والجماعة على ما تقدم ذكره:** أن الإيمان: اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح، وأنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص

بالمعصية، وكلما ازداد العبد في الطاعة ازداد إيمانه كمالًا وقوة، وكلما وقع في المعاصي والتقصير والغفلة تناقص إيمانه، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

**أما المرجئة فهم يقولون:** الإيمان: التصديق فقط، وهؤلاء مرجئة الجهمية.

**ومنهم من يقول:** الإيمان هو التصديق بالقلب، والنطق باللسان، ويؤخرون العمل.

وكل الإرجاء لا خير فيه، فكما أن الغلو خطر على المسلم، وقد هلك بالغلو من هلك؛ هلك به الخوارج الذين كفروا المسلمين بدءًا بالصحابة ما عدا أبي بكر(١) وعمر(٢) وهلك به الشيعة الذين غلوا في أهل البيت، وانتقصوا حق الصحابة -رضوان الله عليهم- وكفروهم، فكما أن الغلو هلكة، فكذلك الإرجاء هلكة.

وأهل السنة يعتقدون أن المؤمنين يتفاضلون في أعمالهم، ولهذا كان أبو بكر أفضل الناس بعد الأنبياء؛ لأنه كان أعظم الناس تصديقًا.

وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ -والله أعلم بصحة ذلك-: **«ما دعوت أحدًا إلا كانت له كبوة إلا أبا بكر»**(٣).

---

(١) عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو بكر بن أبي قحافة، الصديق الأكبر -وقيل: اسمه عتيق- خليفة رسول الله ﷺ، مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة.

(٢) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشي العدوي يقال له: الفاروق، أمير المؤمنين، مشهورٌ جَمُّ المناقب، استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وولي الخلافة عشر سنين ونصفًا.

(٣) أخرجه ابن إسحاق في مغازيه (ص ١٢٠) قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله ﷺ قال: **«ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما عَكَمَ عنه حين ذكرته، ولا تردد فيه»**. وإسناده مُعضل.

وقال ﷺ: «**لو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»[١].

وبالتفاضل في العمل والتصديق كانت مقامات الصحابة في الأفضلية، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: **بلىٰ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**»[٢].

وأن المؤمنين ليمرون علىٰ الصراط كلمح البصر، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل، وكسعي الرجال[٣]، وأن منهم من له شمعة علىٰ ظفر إبهام قدمه اليمنىٰ تَشِعُّ تارة فيتقدم، وتنطفئ فيقف، أو كما قال[٤].

وقد ورد: «**وأن منهم لَمنْ يزحف علىٰ بطنه**»[٥] وهذا يدل علىٰ سقوط من يتساقطون في النار من الموحدين، هذا كله يدل علىٰ اختلاف مقامات الناس في الإيمان، نسأل الله أن يملأ قلوبنا إيمانًا ويقينًا.

**وإن أهل السنة والجماعة لا يكفرون أحدًا بذنب، ولا يوجبون النار لأحد من الناس، ولا يوجبون الجنة أيضًا، ولكن يرجون للمحسن، ويخافون علىٰ المسيء، ولا يشهدون علىٰ أحد بجنة ولا نار، خلا من شهد له رسول الله ﷺ.**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٦)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) معنىٰ حديث أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٨) ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٣٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٩١).

(٥) أخرجه مسلم (١٩٥) بلفظ: «**حتىٰ يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا**»، من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما.

# القـرآن

**والقرآن كلام الله ﷻ، ومن لدنه، وليس بمخلوق فيبيد**(١).

## الشرح

والقرآن كلام الله منه بدأ، وإليه يعود، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة يعتقدون أن القرآن كلام الله، وأنه محفوظ من التحريف والنقص والزيادة، وأنه سيبقىٰ فإذا فسد الناس في آخر الزمان، واقتربت الساعة، حينئذٍ يُسرىٰ عليه فيسلب من المصاحف، ومن صدور الرجال، وذلك قُبيل قيام الساعة.

فقد جاء في الحديث: «**ويسرىٰ علىٰ كتاب الله ﷻ في ليلة فلا يبقىٰ في الأرض منه آية ...**»(٢).

---

(١) **وقد قال أبو عوانة:** دخلت علىٰ إبراهيم المزني في مرضه الذي مات فيه، فقلت له: ما قولك في القرآن؟ فقال: كلام الله غير مخلوق. فقلت: هلَّا قلت قبل هذا؟ قال: لم يزل هذا قولي، وكرهت الكلام فيه؛ لأن الشافعي كان ينهىٰ عن الكلام فيه، يعني: البحث والجدال في ذلك. أخرجه الحاكم في ترجمة أبي عوانة قلت: -أي: الحاكم- سمعت يحيىٰ بن منصور القاضي يقول: سمعت أبا عوانة رحمه الله ... به. كذا في العلو (ص ٥٧).

**قال الألباني في مختصره** (ص ٢٣٣): الإسناد جيد. [عزون]

(٢) **صحيح:** أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، والحاكم (٤/ ٤٧٣) من حديث حذيفة رضي الله عنه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٧).

أنزل الله القرآن لهداية البشرية، وقد قال النبي ﷺ: **«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أومن أو آمن عليه البشر؛ وإنَّما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ فأرجو أنِّي أكثرهم تابعًا يوم القيامة»**(١).

القرآن أعظم معجزة على الإطلاق، قال ﷻ: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر:٣٥-٣٧].

اللهم اجعلنا من المؤمنين بكتابك، المتبعين لهديه، الممتثلين لأوامره، المجتنبين لمناهيه، المصدقين بأخباره.

ولقد ابتلي المسلمون في أوائل القرن الثالث بالدعوة إلى القول بخلق القرآن بسبب أن المعتزلة أقنعوا الخليفة المأمون(٢) بذلك، وبأن يدعو العلماء إلى ذلك، ومن امتنع منهم عن القول به أقنعوه بقتله، فأدخل العلماء السجون، فمنهم من مات في السجن، ومنهم ورَّى بشيء وأُخرج من السجن بعد زمن طويل.

وثبت الإمام أحمد بن حنبل(٣) وضُرب في ذلك حتى أُغمي عليه، ومكث في

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١ و٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي، أبو جعفر أمير المؤمنين، ولد في ربيع الأول سنة سبعين ومائة، تولى الخلافة في المحرم لخمس بقين منه بعد مقتل أخيه سنة ثمان وتسعين ومائة، واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر، وقد كان فيه تشيع واعتزال، وجهل بالسنة الصحيحة؛ لأنه اجتمع بجماعة منهم: بشر بن غياث المريسي فخدعوه، وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل، وكان يحب العلم، ولم يكن له بصيرة نافذة فيه، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل وراج عنده الباطل ودعا إليه، وحمل الناس عليه قهرًا.

توفي بطرطوس في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين، وله من العمر نحو من ثمان وأربعين سنة.

(٣) أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي نزيل بغداد، أبو عبد الله، أحد =

السجن، ومنع من التحديث، وكانت هذه فتنة عظيمة لقي الناس فيها من الشر ما لقوا.

**وقد قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجميع أهل السنة والجماعة:** من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع؛ بل وكفره بعضهم، ثم بعد ذلك أنقذ الله أهل الإسلام بولاية المتوكل[1] علىٰ الله، فعز فيه أهل الإسلام، وعلماء الإسلام، وذل في عهده المبتدعة، والحمد لله رب العالمين.



---

=

الأئمة، ولد سنة أربع وستين ومائة، امتحن بالقول بخلق القرآن فصبر، وحبس ومنع من التحديث، زمنًا، وهو ثابت ثبوت الجبال الشوامخ، فكان إمام أهل السنة بحقٍّ، توفي سنة إحدىٰ وأربعين ومائتين.

(١) هو جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، ولد سنة سبع ومائتين، وبويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق سنة اثنين وثلاثين ومائتين، قتل سنة سبع وأربعين ومائتين علىٰ يد ولده المنتصر، وله من العمر أربعون سنة، وكانت مدة خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام.

# الصفات

وكلمات الله، وقدرة الله، ونعته وصفاته، كاملات غير مخلوقات، دائمات أزليات، وليست بمحدثات فتبيد، ولا كان ربنا ناقصًا فيزيد.

جَلَّتْ صفاته عن شَبَهِ صفات المخلوقين، وقصرت عنه فِطَنِ الواصفين، قريب بالإجابة عند السؤال، بعيد بالتعزز لا يُنال، عالٍ علىٰ عرشه، بائن من خلقه[1]، موجود وليس بمعدوم ولا بمفقود.

## الشرح

نقول: صفات الله توقيفية، يجب أن نصفه بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسولهﷺ في سنته، نثبت ما أثبت الكتاب والسنة، ونتوقف عند ذلك.

نؤمن بما دلت عليه هذه الصفات من المعاني، إلا أنه يجب أن نعتقد بأن

(١) قال الذهبي في العلو (ص ١٣٥): واعلم أن لفظة «بائن» كثر ورودها في عقيدة السلف في قولهم: «هو تعالىٰ علىٰ عرشه، بائن من خلقه» وحكاها أبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان عن العلماء في جميع الأمصار، وإنَّما نطق بها العلماء بهاتين اللفظتين: «بذاته، وبائن» بعد أن لم تكونا معروفتين في عهد الصحابة رضي الله عنهم لما ابتدع الجهم وأتباعه القول بأن الله في كل مكان، فاقتضت ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء الأئمة الأعلام بلفظ «بائن» دون أن ينكره أحد منهم. انظر: «مختصر العلو» (ص ١٨) للعلامة الألباني. [عزون]

صفات الله ﷻ جلت عن صفات المخلوقين، وعزت عن مشابهة المحدثين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

نؤمن بأن له سمعًا يسمع به جميع المسموعات، وله بصرًا يرىٰ به جميع المبصرات، وأنه حي لا يموت، ليس لحياته ابتداء، وليس لها انتهاء، ولا يجري عليها الفناء، وكل مخلوق سُبق بالعدم، ثم لابد له من الفناء.

قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]. ونؤمن بأن الاتفاق في أسماء الصفات لا يلزم منه الاتفاق في الحقائق، فإذا قلنا إن الله حي، والمخلوق حي، فإن حياة المخلوق سبقت بالعدم وسيلحقها الفناء، أما صفات الله ﷻ فليست كذلك، وهكذا نقول في سائر الصفات، فإذا أثبتنا لله وجهًا، فنحن نثبت له وجهًا يليق بجلاله، وإذا أثبتنا له يدًا، فنحن نؤمن أن له يدًا تليق بجلاله، وهكذا نقول.

**ثم إن الصفات تنقسم إلىٰ قسمين:**

**صفات ذاتية:** وهي الوجه، والعينان، والسمع، والبصر، واليدان، والساق، والرجل، والقدم، والأصابع، والعلم، والقدرة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة.

**وأما الصفات الفعلية:** فنحن نؤمن بأنه خالق، وما سواه مخلوق، ونؤمن بأنه استوىٰ علىٰ عرشه استواءً يليق بجلاله، وأنه بائن من خلقه، وأنه «**ينزل إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأوسط أو الأخير من كل ليلة**»[1].

فالخلق والاستواء، والنزول هذه صفات فعلية.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

**قال قريب بالإجابة عند السؤال:** هذه الفقرة يشهد لها قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ [البقرة:١٨٦].

فهو قريب من الناس بعلمه وإحاطته وهيمنته، بائن منهم بذاته، عالٍ بذاته علىٰ عرشه، وعرشه فوق سمواته، وعلمه بكل مكان، والله أعلم.



# الآجـال

**والخلق ميتون بآجالهم عند نفاد أرزاقهم، وانقطاع آثارهم.**

## الشرح

كلٌّ يموت بأجله، هذا يموت علىٰ فراشه، وهذا يقتل، وهذا يلدغ، وهذا يموت بحادث مروري، وهكذا، وهكذا كلٌّ له ما قدر له؛ لكن هذا السبب قُدِّر في اللوح المحفوظ، ولا يتعداه أبدًا.

والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٣٤]. فالله ﷻ يعلم أنك في يوم غدٍ[١] الحادي والعشرين من شهر ربيع الثاني في سنة ألف وأربعمائة وثلاث وعشرين من الهجرة يعلم أنك ستأكل كذا، أو ستشرب كذا، وستمشي إلىٰ كذا، هذا كله مكتوب عند الله ﷻ، ومتىٰ تكون نهايتك يا عبد الله؟ عندما تنتهي أرزاقك وينتهي أثرك -أي: الخطوات التي ستخطوها إذا انتهيت- جاءك الموت، وإذا مت عندئذٍ تقوم قيامتك أيها الإنسان.

(١) لأن الدرس كان في اليوم العشرين من شهر ربيع الثاني سنة ألف وأربعمائة وثلاث وعشرين من الهجرة.

وقد جاء في حديث البراء بن عازب[1] رضي الله عنه كيف يأتي ملك الموت إلىٰ الإنسان الصالح والمسيء والمؤمن والكافر[2] وهكذا، ثم بعد الموت ماذا في القبر؟

القبر منزلة بين منزلتين، الإنسان يكون حملًا، ثم يولد فيكون طفلًا، ثمّ بعد ذلك يفطم وهو ما زال في الطفولة، ثم يكون غلامًا مراهقًا ثمّ يكون محتلمًا، ثم بعد ذلك يكون مكلَّفًا، وهكذا ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:١٤]. ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق:١٩].

فهذه الأطوار التي يمر بها الإنسان منها ما يكون وقت الإعداد، كالطفل يكون حينئذٍ يعد لحياته، ولهذا يدرس الأطفال في حال الطفولة، ومن يسر الله له من يعلمه الخير خرج خيرًا، ومن قيض الله له من يعلمه الشر -والعياذ بالله- خرج شريرًا.

بعد ذلك شابًّا، ثم كهلًا ثم يموت، هذا مراحل في الحياة؛ وبعدها الموت، وبعد الموت البرزخ وهو وسط بين الدنيا والآخرة -فاصل- لكن يلاقي فيه العبد ما سيلقاه بعد قيام القيامة، يلاقي بعضه أهل الشقاء، يلقونه في قبورهم، وفي الحياة البرزخية يَلْقَوْنَ -والعياذ بالله- من العذاب ما يَلْقَوْنَ.

ويكون ذلك من مقدمات العذاب الأخروي كما في حديث سمرة[3] الذي في صحيح البخاري[4]: أن النبي ﷺ قال: «**هل رأىٰ أحد منكم رؤيا. قلنا: لا. قال:**

---

(١) هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي، صحابي ابن صحابي، نزل الكوفة، استصغر يوم بدر، وكان هو وابن عمر لدة، مات سنة اثنتين وسبعين.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٧٥٣). وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٣) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، حليف الأنصار صحابي مشهور، له أحاديث، مات بالبصرة سنة ثمان وخمسين.

(٤) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم، أبو عبد الله البخاري، جبل الحفظ، =

لكنِّي رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلىٰ الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كَلُّوبٌ من حديد. قال بعض أصحابنا عن موسىٰ: إنه يدخل ذلك الكَلُّوب في شِدْقه حتّىٰ يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله. قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق.

فانطلقنا حتىٰ أتينا علىٰ رجل مضطجع علىٰ قفاه، ورجل قائم علىٰ رأسه بِفِهْرٍ، أو صخرة فَيَشْدَخُ به رأسه، فإذا ضربه تَدَهْدَهَ الحجر، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلىٰ هذا حتىٰ يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه. قلت: من هذا؟ قالا: انطلق.

فانطلقنا إلىٰ ثقب مثل التنور أعلاه ضَيِّق وأسفله واسع يتوقد تحته نارًا فإذا اقترب ارتفعوا حتىٰ كادوا أن يخرجوا فإذا خَمَدَتْ رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، فقلت: من هذا؟ قالا: انطلق.

فانطلقنا حتىٰ أتينا علىٰ نهر من دمٍ فيه رجل قائم علىٰ وسط النهر -قال يزيد ووهب بن جرير، عن جرير بن حازم-: وعلىٰ شط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمىٰ في فِيهِ بحجر فيرجع كما كان. فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق.

فانطلقنا حتىٰ انتهينا إلىٰ روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعد بي في الشجرة وأدخلاني دارًا لم أرَ قطُّ أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل،

=

وإمام الدنيا في فقه الحديث، ولد سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي سنة ست وخمسين ومائتين، وله اثنتان وستون سنة.

**فيها شيوخ وشباب، قلت: طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت.**

**قالا: نعم، أما الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يُحدث بالكذبة فتُحمل عنه حتىٰ تبلغ الآفاق فيصنع به إلىٰ يوم القيامة، والذي رأيته يُشدخ رأسه فرجل علّمه الله القرآن فنام عنه بالليل، ولم يعمل فيه بالنهار، يُفعل به إلىٰ يوم القيامة، والذي رأيته في الثَّقْب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر آكلو الربا.**

**والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم ﷺ، والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يُوقِدُ النار مالكٌ خازن النار، والدار الأولىٰ التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل؛ فارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب قالا: ذاك منزلك. قلت: دَعَانِي أدخل منزلي. قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك»**[(١)]. اهـ.

وفي القبر يكون سؤال نكير ومنكر: مَنْ ربك؟ ما دينك؟ ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

وكذلك الضغطة في القبر جاء في الحديث: «**لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد**[(٢)] **بن معاذ**»[(٣)]. وهذا حديث فيما أعلم صحيح.

نسأل الله أن يعفو عنا، وأن يغفر لنا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٦).

(٢) هو سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري، الأشهلي، أبو عمرو، سيد الأوس، أسلم قبل الهجرة علىٰ يد مصعب بن عمير، شهد بدرًا، واستشهد من سهم أصابه بالخندق سنة خمس من الهجرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢٣٧٦٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣٤٥).

# النشور والحساب

وبعد البلىٰ منشورون، ويوم القيامة إلىٰ ربهم محشورون، ولدىٰ العرض عليه محاسبون، بحضرة الموازين، ونشر صحف الدواوين، أحصاه الله ونسوه، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة لو كان غير الله ﷻ الحاكم بين خلقه[(١)]؛ لكنه الله يلي الحكم بينهم بعدله بمقدار القائلة في الدنيا[(٢)]، وهو

(١) هذا أحد الأقوال في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤].

**قال الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٣٥٧)**: «يعني: أن مقدار الأمر فيه لو تولاه غير الله سبحانه خمسون ألف سنة، وهو سبحانه يفرغ منه في ساعة، وقيل: إن مدة موقف العباد للحساب هي هذا المقدار، ثم يستقر بعد ذلك أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار. وقيل: إن مقدار يوم القيامة علىٰ الكافر خمسون ألف سنة، وعلىٰ المؤمنين مقدار ما بين الظهر والعصر ... ». [عزون]

(٢) روىٰ الحاكم (١/ ٨٤) ومن طريقه البيهقي كما في نهاية ابن كثير (١/ ٢٣٥)، والديلمي في مسند الفردوس (٤/ ٣٣٧)، كما في الصحيحة (٥/ ٥٨٤) عن سويد بن نصر: حدثنا ابن المبارك، عن معمر، عن قتادة، عن زرارة بن أوفىٰ، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**يوم القيامة كقدر ما بين الظهر والعصر**».

**قال الحاكم**: هذا حديث صحيح الإسناد علىٰ شرط الشيخين إن كان سويد بن نصر حفظه علىٰ أنه ثقة مأمون، فقد أخبرنا الحسن بن محمد بن حليم: أنبأ أبو المجة: أنبأ عبدان: حدثنا عبد الله بن معمر، عن قتادة، عن زرارة بن أوفىٰ، عن أبي هريرة قال:.. فذكره. موقوف عليه.

قال العلامة الألباني في الصحيحة (٥/ ٥٨٤): ووافقه الذهبي علىٰ ما قال، وأرىٰ أن الموقوف في

=

**أسرع الحاسبين كما بدأه لهم من شقاوة وسعادة يومئذ يعودون، فريق في الجنة، وفريق في السعير.**

## الشرح

هذه الخليقة لها أجل، تمضي أيام الدنيا شيئًا فشيئًا حتىٰ تنتهي، فإذا انتهت أيام الدنيا أمر الله ﷿ إسرافيل فينفخ في الصور نفخة الفزع، فتطول، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴾ [ص:١٥].

ثم بعدها نفخة الصعق التي يموت الناس بعدها، وهذه النفخة التي يموت بها كل حي، ولا يبقىٰ أحد من الأحياء بعد ذلك، ويأتي تأويل قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

ثم بعد ذلك يكون ما يكون من الأحداث من نسف الجبال، وطي السموات والأرضين، ثم يأمر الله السماء فتمطر، فتمطر علىٰ الأرض مطرًا كمني الرجال فينبت الناس في قبورهم كما ينبت البقل، فإذا تكاملوا وجاء وعد البعث عندئذٍ يأمر الله ﷿ إسرافيل فينفخ في الصور بعد أن تجمع له الأرواح في فوهته فتطير الأرواح إلىٰ أجسادها؛ كل روح تعرف جسدها أين كان وتذهب إليه فتدخل فيه.

ثم يقومون من قبورهم حين تنشق عنهم الأرض وحينئذٍ يتجهون إلىٰ أرض المحشر: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ﴾ [طه:١٠٨]. الله أكبر، فيجتمعون للحكم بينهم في يوم كان مقداره خمسين

=

حكم الرفع؛ بل هو أوضح وأبين والله أعلم، لكن سويد ليس علىٰ شرط الشيخين، وإن كان ثقة، وهو رواية ابن المبارك. [عزون]

ألف سنة، ويقفون فيه موقفًا طويلاً، وهو الذي أشار إليه القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:٦].

ثم يمشي المؤمنون بعضهم في بعض فيقولون: اذهبوا إلىٰ من يشفع لكم إلىٰ ربّكم، فيذهبون إلىٰ آدم، ثم إلىٰ نوح، ثم إلىٰ إبراهيم، ثم إلىٰ موسىٰ، ثم إلىٰ عيسىٰ، ثم إلىٰ محمد -صلوات الله وسلامه عليهم- وكلهم يحيل إلىٰ الآخر.

فإذا جاءوا إلىٰ النبيﷺ قال: «**أنا لها، أنا لها، فيذهب إلىٰ ربِّه ويسجد بين يديه قدر جمعة. ثمّ يقول: ربي أمتي أمتي**»[1]. وحينئذٍ يأمر الله بفصل القضاء.

ويقع ما ذكر فيه من تطاير الصحف فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله وتوزن الأعمال: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٤]. وليس بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.



---

(١) **جزء من حديث الشفاعة الطويل**: أخرجه البخاري (٣٣٤٠، ٣٣٦١، ٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

# الجنـة

**وأهل الجنة يومئذٍ في الجنة يتمتعون، وبصنوف اللذَّات يتلذذون، وبأفضل الكرامات يحبرون.**

## الشرح

الجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[(١)].

الجنة من دخلها يحيا فلا يموت، يصح فلا يسقم، يشب فلا يهرم، ينعم فلا يبأس[(٢)].

الجنة ما هي إلا ريحانة تهتز، ونهر مطرد، وثمرة ناضجة، وقصر مشيد، وامرأة حسناء، وحبور لا يشبهه حبور[(٣)]، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٥-٥٨].

---

(١) معنىٰ حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) معنىٰ حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٣٧) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما.

(٣) ورد هذا المعنىٰ في حديث أخرجه ابن ماجه (٤٣٣٢)، وابن حبان (٢٦٢٠)، وغيرهما، وضعفه الألباني في الضعيفة (٣٣٥٨).

ما هو ثمن هذه الجنة؟ ثمنها طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ على فهم السلف الصالح: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩].

هذا هو ثمن الجنة، هذا هو السبب الموصل إليها، أما من أطاع فلانًا وفلانًا، وتابع فلانًا وعلانًا في معصية الله ﷻ، فإنه سيندم يوم القيامة: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

**يقال لك يا عبد الله:** اتبع كتاب الله، اتبع سنة رسول الله ﷺ، اتبع السلف الصالح من التابعين وأتباع الأتباع من أصحاب القرون الثلاثة التي زكاها نبي الهدى وقائد الغر المحجلين إلى الجنة فتقول: لا، وتعرض من أجل أن تتبع أصحاب البدع على بدعهم، وأصحاب الضلالات على ضلالاتهم، ألا تعلم أن المتحابين يوم القيامة والأتباع والمتبوعين والقادة والمرءوسين يلعن بعضهم بعضًا، والولاية تنقلب عداوة، قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾ [سبأ:٣١]. والآيتان بعدها من سورة سبأ (٣٢-٣٣).

فاتق الله في نفسك يا عبد الله، وتابع الحق تَنْجُ وترشد، وتنل في الجنة أحسن مقعد.



# الرؤيـة

**فهم حينئذٍ إلىٰ ربهم ينظرون، لا يمارون في النظر إليه ولا يشكون، فوجوههم بكرامته ناضرة، وأعينهم بفضله إليه ناظرة، في نعيم دائم مقيم و﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر:٤٨]. ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد:٣٥]. وأهل الجحد عن ربهم يومئذٍ محجوبون[1]، وفي النار يسجرون ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [المائدة:٨٠].**

**و ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر:٣٦]. إلا من شاء من الموحدين إخراجهم منها.**

## الشرح

المؤمنون ينظرون إلىٰ ربهم نظر تلذذ ونعيم كما جاء في الحديث: «بينما

(١) عن المزني، سمعت إبراهيم بن هرم القرشي يقول: سمعت الشافعي يقول في قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]. فلما حجبهم في السخط كان في هذا دليل علىٰ أنهم يرونه في الرضا. فقال له أبو النعيم القزويني: يا أبا إبراهيم، به تقول؟ قال: نعم، وبه أدين. فقام إليه عصام، فقبل رأسه، وقال: يا سيد الشافعيين، اليوم بيضت وجوهنا. أورده المقريزي في كتاب «المقفىٰ الكبير» (٥/ ٣٤٦)، وأورده مختصرًا البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢/ ٣٥٣). [عزون]

**أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. قال وذلك قول الله: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾** [يس:٥٨]. **قال: فينظر إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلىٰ شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتىٰ يحتجب عنهم، ويبقىٰ نوره وبركته عليهم في ديارهم»**(١).

هذا قول أهل السنة والجماعة مستدلين بالآيات الدالة علىٰ ذلك منها قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]. الأولىٰ من النضارة وهي الحسن والبهاء، والثانية من النظر.

في نعيم دائم مقيم: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر:٤٨]. ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد:٣٥].

هذه عاقبة المؤمنين الموحدين المتبعين لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ المتبعين لسلف الأمة، الصحابة والتابعين.

أما أهل الجحد فقد أفصح عنهم بقوله: **وأهل الجحد عن ربهم يومئذ محجوبون، وفي النار يسجرون**، -أي: يحرقون ويعذبون-: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [المائدة:٨٠].

خالدون دائمًا أبدًا مؤبدًا ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٩-٤٠].

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن ماجه (١٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر:٣٦-٣٧].

**قال: خلا من شاء الله من الموحدين إخراجهم منها:** صحت الأخبار بالتواتر أن الموحدين، منهم من يعفو الله عنه فيدخله الجنة بدون عذاب، ومنهم من يدخل النار فيموتون موتة، فيأتي الشافعون فيدخلون عليهم فيجدونهم قد احترقوا حتىٰ صاروا حممًا[١]. فلا يعرفونهم إلا بمواضع السجود[٢]، وحرام علىٰ مواضع السجود أن تأكلها النار.

**مواضع السجود السبعة:** الجبهة، والأنف، والكفان، والركبتان، وأطراف القدمين، هذه مواضع السجود السبعة حرام علىٰ النار أكلها.



---

(١) معنىٰ حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٨٣).

(٢) جزء من حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧٣ و٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

# طاعة الأئمة والأمراء ومنع الخروج عليهم

**والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله ﷻ مرضيًّا، واجتناب ما كان عند الله مسخطًا، وترك الخروج عند تعديهم وجورهم، والتوبة إلى الله ﷻ كيما يعطف بهم على رعيتهم[(١)].**

## الشرح

يعني: أن طاعة ولاة الأمور في الحق واجبة، ويحرم عصيانهم إذا هم أمروا بما أمر الله به من الحق؛ لكن إذا أمروا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية

(١) **قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية** (٢/ ٥٧٨): «وأما لزوم طاعتهم، وإن جاروا؛ فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم؛ بل الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ﴾ [آل عمران:١٦٥]. وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٩]. فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم، فليتركوا الظلم. [عزون]

الخالق هكذا يقول النبيﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[(١)].

**قال: وترك الخروج عند تعديهم وجورهم، والتوبة إلىٰ الله كيما يعطف بهم علىٰ رعيتهم.**

**الخروج علىٰ ولاة الأمور محرم، وقد وردت فيه أحاديث صحيحة وصريحة منها:**

١- في صحيح مسلم[(٢)]، عن نافع[(٣)] قال: جاء عبد الله بن عمر[(٤)] رضي الله عنهما إلىٰ عبد الله بن مطيع[(٥)] حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية[(٦)] فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثًا سمعت رسول اللهﷺ يقوله؛ سمعت رسول اللهﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة**

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٥٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ١٧٠) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥٢٠).

(٢) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسن، أحد الأئمة من حُفاظ الحديث صاحب الصحيح الذي هو تلو صحيح البخاري عند أكثر العلماء، مات سنة إحدىٰ وستين ومائتين، وله سبع وخمسون سنة.

(٣) هو نافع مولىٰ ابن عمر، أبو عبد الله المدني أصله من بلاد المغرب، أحد الثقات النبلاء، والأئمة الأجلاء، قال البخاري: أصح الأسانيد: مالك، عن نافع، عن ابن عمر، مات سنة سبع عشرة ومائة علىٰ المشهور.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة القرشي العدوي المدني، له رؤية، وكان رأس قريش يوم الحرة، وأمَّره ابن الزبير علىٰ الكوفة ثم قُتل معه سنة ثلاث وسبعين.

(٦) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو خالد ولد سنة خمسٍ أو ستٍّ أو سبعٍ وعشرين، ولي الخلافة سنة ستين ليس بأهلٍ أن يروىٰ عنه، مات سنة أربع وستين.

**جاهلية»**[١].

٢- وعن ابن عباس[٢] رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: **«من كره من أميره شيئًا فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرًا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية»**[٣].

٣- وعن أبي هريرة[٤] رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمِّية، يغضب لعصبية، أو يدعو إلىٰ عصبية، أو ينصر عصبية، فَقُتل فقتلته جاهلية، ومن خرج علىٰ أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشىٰ من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس منِّي ولست منه»**[٥].

٤- وعن حذيفة بن اليمان[٦] قال: «قلت: يا رسول الله: إنا كنا في شر فجاء الله

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمىٰ بالبحر والحبر لسعة علمه، مات سنة ثمان وستين بالطائف، وهو أحد المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٤، ٧١٤٣)، ومسلم (١٨٤٩).

(٤) هو عبد الرحمن بن صخر -علىٰ الصحيح- الدوسي الصحابي الجليل أسلم عام خيبر سنة سبعٍ من الهجرة، حافظ الصحابة روىٰ (٥٣٧٤) حديثًا، توفي سنة سبعٍ، وقيل: سنة ثمانٍ، وقيل: تسعٍ وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

(٥) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٦) حذيفة بن اليمان، واسم اليمان: حسيل، ويقال: حسل العبسي، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين مات في أول خلافة علي سنة ستٍّ وثلاثين.

بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: **نعم**. قلت: فهل وراء ذلك الشر خير؟ قال: **نعم**. قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: **نعم**. قلت: كيف؟ قال: **يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**. قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: **تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع**»[١].

٥- وعن عرفجة[٢] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أتاكم وأمركم جميع علىٰ رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه**»[٣].

٦- وعن أبي سعيد الخدري[٤] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخِر منهما**»[٥].

٧- وعن أم سلمة[٦] رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع**. قالوا: أفلا

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٧).

(٢) عرفجة بن شريح، أو شراحيل، أو شريك، أو ضريح، الأشجعي، صحابي، اختلف في اسم أبيه روىٰ له مسلم، وأبو داود، والنسائي.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٤) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد الخدري له ولأبيه صحبة، استصغر يوم أحد، ثمّ كان أول مشاهده الخندق، روىٰ أحاديث كثيرة، مات بالمدينة سنة ثلاثٍ أو أربعٍ أو خمسٍ وستين وقيل: سنة أربعٍ وسبعين.

(٥) أخرجه مسلم (١٨٥٣).

(٦) هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية، أم سلمة، أم المؤمنين تزوجها النبيﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع، وقيل: ثلاث. وعاشت بعد ذلك ستين سنة، ماتت سنة اثنتين وستين، وقيل: سنة إحدىٰ، وقيل: قبل ذلك، والأول أصح.

نقاتلهم؟ قال: **لا، ما صلوا**»[١].

٨- وعن عوف بن مالك[٢] ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**. قالوا: قلنا: يا رسول الله؛ أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: **لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة**»[٣].

٩- وعن عبادة بن الصامت[٤] ﷺ قال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا علىٰ السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألَّا ننازع الأمر أهله، قال: **إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»[٥].

١٠- وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص[٦] الطويل مرفوعًا: «**ومن بايع**

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٢) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني، أبو حماد ويقال غير ذلك، صحابي جليل مشهور، شهد مؤتة مع خالد بن الوليد والأمراء قبله، وشهد الفتح، وكانت معه راية قومه يومئذٍ، وشهد فتح الشام، وسكن دمشق، ومات سنة ثلاثٍ وسبعين.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٤) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد المدني، أحد النقباء، بدري مشهور، مات بالرملة سنة أربعٍ وثلاثين، وله اثنتان وسبعون، وقيل: عاش إلىٰ خلافة معاوية، قال سعد بن عفير: كان طوله عشرة أشبار.

(٥) أخرجه البخاري (٧٠٥٥، ٧٠٥٦، ٧١٩٩، ٧٢٠٠)، ومسلم (٤٢/ ١٧٠٩).

(٦) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم السهمي، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة علىٰ الأصح بالطائف علىٰ الراجح عند ابن حجر، ورجح الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله-: أنه مات سنة خمس وستين بمصر، راجع تحقيق المسند (٩/ ١٨٨).

إمامًا فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»(١).

والخروج عليهم ينقسم إلىٰ قسمين:

١- خروج فعلي بالسيف، وما في معناه.

٢- خروج قولي بأن يتكلم الإنسان في ولاة الأمر، ويقدح فيهم، ويذمهم دعوة إلىٰ الخروج عليهم.

هذا كله لا يجوز؛ لأن الخروج القولي سبب للخروج الفعلي، فلا يجوز للعبد أن يعمل شيئًا من ذلك، إن أنكر شيئًا فليكتب كتابة سرية فيها نصيحة لولاة الأمر، وتبرأ ذمته عند ذلك، هذا هو العمل الذي ينبغي وهو النصيحة.

أما صنيع المبتدعة، وهو الخروج الفعلي بالقول علىٰ ولاة الأمر، وغالبًا أن ما يقال عنهم لا يثبت إلا القليل منه، حتىٰ وإن ثبت لا يجوز الكلام فيه، ولا إفشاؤه، ولا الخوض فيه.

فإذا رأيت الرجل يقول: فلان فيه كذا وكذا من ولاة الأمور مثلًا؛ فاعلم أنه علىٰ بدعة وضلالة، حتىٰ ولو كان الشيء الذي قاله صحيحًا، والناس لا يسلم أحد منهم من الخطأ، فلا يجوز إفشاء هذا الكلام، ولا نقله، ولا تداوله، كيف والكثير مما يشاع ويعلم ويتكلم فيه فئات من الناس من الجهال والطلاب هذا أكثره كذب وافتراء وباطل.



(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

## الإمساك عن تكفير أهل القبلة

**والإمساك عن تكفير أهل القبلة، والبراءة منهم فيما أحدثوا ما لم يبتدعوا ضلالًا، فمن ابتدع منهم ضلالًا، كان علىٰ أهل القبلة خارجًا، ومن الدين مارقًا، ويُتقرب إلىٰ الله ﷻ بالبراءة منه، ويُهجر ويُحتقر، وتُجتنب غدته، فهي أعدىٰ من غدة الجرب.**

### الشرح

نقول: الإمساك عن تكفير أهل القبلة واجب، لا يُكفَّر أحد من المسلمين بذنب ارتكبه، إلا أن يستحل حكمًا مجمعًا عليه، فإن كان مجمعًا علىٰ حله وحرَّمه، فإنه يكفر بهذا، وإن كان مجمعًا علىٰ تحريمه وأحلَّه فإنه يكفر إجماعًا، كمن استحل الزنا مثلاً، أو شُرْب الخمر، أو غير ذلك من الأشياء المحرمة؛ لكن لو عمل هذا الشيء مرات فإنه لا يجوز أن نكفره، لا نقول إنه كافر إلا إذا قال: إنه يعتقد أن هذا حلال؛ لكن لو استحله استحلالًا فعليًا فإنا لا نكفره.

الدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:٩-١٠].

فسمىٰ المتقاتلَين إخوة مع أن بعضهم يسفك دم بعض.

وجاء في صحيح البخاري[١] عن أبي هريرة[٢] ﷺ قال: «أتي النبي ﷺ بسكران فأمر بضربه فمنا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله، ومنا من يضربه بثوبه، فلما انصرف قال رجل: ما له، أخزاه الله. فقال رسول الله ﷺ: **لا تكونوا عون الشيطان علىٰ أخيكم**»[٣].

فسماه أخًا مع أنه يشرب الخمر عدة مرات، كما في بعض الروايات، فنحن نقول: إن من فعل كبيرة، ولو كررها عدة مرات فإنا لا نكفره بهذا الفعل، وإنَّما نكفره لو استحل هذا الفعل.

**قوله: والبراءة منهم فيما أحدثوا:** المحدِث تجب البراءة منه، والنبي ﷺ يقول: «**لعن الله من آوىٰ محدثًا**»[٤].

**والمراد بالمحدِث:** الذي يأتي بحدثٍ من الكبائر العظام، وكأنه يستحله أو ما أشبه ذلك فهذا يُتبرأ منه.

ومن الإحداث، إحداث البدع.

**قوله: ما لم يبتدعوا ضلالًا:** من ابتدع في الدين بدعة فإنه يعتبر قد ضلَّ لقول النبي ﷺ: «**وكل بدعة ضلالة**»[٥].

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٨١).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٧٨) من حديث علي ﷺ.

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، من حديث العرباض ابن سارية ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩).

**قال: فمن ابتدع منهم ضلالاً، كان من أهل القبلة خارجًا، ومن الدين مارقًا:**

لا نقول إنه كافر إلا إذا كانت البدعة مكفرة، كالقول بخلق القرآن، أو نفي الصفات، أو تعطيلها، أو ما أشبه.

وكذلك من يرىٰ الخروج علىٰ ولاة الأمر، فإنه مبتدع بدعة مضلة، ويعتبر مارقًا لقول النبيﷺ: «**يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**»[1].

**قال: ويتقرب إلىٰ الله ﷻ بالبراءة منه، ويهجر ويحتقر وتجتنب غدته فهي أعدىٰ من غدة الحرب.**

**الظاهر أن المقصود**: وتجتنب مودته أو بدعته قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة:٢٢]. والغدة: يمكن أن يعبَّر بها عن الجرثومة.



(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠، ٥٠٥٨، ٦١٦٣، ٦٩٣١، ٦٩٣٣)، ومسلم (١٠٦٤).

# الصحابة

ويقال بفضل خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق[(١)] رضي الله عنه؛ فهو أفضل الخلق[(٢)] وأَخْيَرُهُم بعد النّبي ﷺ. ونُثَنِّي بعده بالفاروق، وهو عمر بن الخطاب[(٣)] رضي الله عنه فهما وزيرا رسول الله ﷺ، وضجيعاه في قبره، وجليساه في الجنة.

ونُثَلِّثُ بذي النورين عثمان بن عفان[(٤)] رضي الله عنه، ثمّ بذي الفضل والتقىٰ علي بن أبي طالب[(٥)] -رضي الله عنهم أجمعين-.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) يعني: من هذه الأمة؛ لأن أفضل الخلق هم الأنبياء وبعدهم أبو بكر رضي الله عنه.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، أبو عبد الله، أبو عمرو، أمير المؤمنين، ذو النورين، أحد السابقين الأولين، والخلفاء الأربعة، والعشرة المبشَّرة، أسلم قديمًا علىٰ يدي الصديق، وهاجر الهجرتين، لم يشهد بدرًا؛ لأنه أقام علىٰ تمريض زوجته رقية، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه منها وأجره فيها، فهو معدود فيمن شهدها، وبايع عنه رسول الله ﷺ يوم الحديبية، تولىٰ الخلافة بعد عمر بموافقة بقية أهل الشورىٰ، واستشهد في ذي الحجة بعد عيد الأضحىٰ سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة، وعمره ثمانون، وقيل أكثر، وقيل أقل.

(٥) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي -حيدرة، أبو تراب، أبو الحسنين- ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته، من السابقين الأولين، ورجح جمع أنه أول من أسلم فهو سابق العرب، وهو أحد العشرة، تولىٰ الخلافة في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، مات في رمضان سنة =

**ويقال بفضلهم، ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ونمسك عن الخوض فيما شجر بينهم، فهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم، ارتضاهم الله ﷻ لصحبة نبيه، وجعلهم أنصارًا لدينه، فهم أئمة الدين، وأعلام المسلمين -فرحمة الله عليهم أجمعين-.**

## الشرح

### ١- ترتيب الصحابة:

أولًا الخلفاء الراشدون، ثم بعدهم بقية العشرة الذين شهد لهم النبي ﷺ أنهم في الجنة وهم: الزبير بن العوام[1]، وأبو عبيدة بن الجراح[2]، وطلحة بن عبيد الله[3]،

=

أربعين، وهو يومئذٍ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة، وله ثلاثٍ وستون سنة علىٰ الأرجح.

(١) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي بن كلاب، أبو عبد الله القرشي الأسدي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، أسلم وعمره خمسة عشر سنة، وقيل أقل، وقيل أكثر، هاجر الهجرتين، شهد المشاهد كلها، قتله عمرو بن جرموز سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل.

(٢) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي، الفهري، أمين هذه الأمة، أبو عبيدة بن الجراح، أحد العشرة، أسلم قديمًا، وشهد بدرًا وما بعدها، مات شهيدًا بطاعون عمواس سنة ثمانِ عشرة، وله ثمانٍ وخمسون سنة.

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو محمد المدني يعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض لكثرة جوده، أسلم قديمًا علىٰ يدي أبي بكر، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين، وهو ابن ثلاث وستين.

وسعد بن أبي وقاص[١]، وسعيد بن زيد[٢]، وعبد الرحمن بن عوف[٣] -رضي الله عنهم أجمعين-.

**وبعد هؤلاء العشرة نقول**: أفضل الصحابة هم الذين هاجروا الهجرتين: هجرة الحبشة، وهجرة المدينة. وبعد هؤلاء أهل بدر، وبعدهم أهل بيعة الرضوان، ثم من أسلم قبل الفتح وقاتل، ثم من أسلم بعد الفتح وقاتل، ثم صغار الصحابة، هذا ترتيبهم.

**قوله: ويقال بفضلهم**: أي: من له فضيلة فيجب أن تعلم فضيلته، وإلا فصحبته للنبي ﷺ هي فضيلة.

**قوله: ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ونمسك عن الخوض فيما شجر بينهم.**

لا يجوز أن نعلن، ونخوض ونتكلم فيما شجر بين الصحابة؛ لأن ذلك ربما قد يجرك إلىٰ أن تلوم بعضهم في بعض المواقف، وهم ليسوا بمعصومين.

فالواجب أن يكون موقفنا منهم موقف احترام وإكبار وإجلال وتفضيل.



---

(١) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب، أو وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورىٰ، أسلم قديمًا، وكان أول من رمىٰ بسهم في سبيل الله، شهد بدرًا وما بعدها، مات بالعقيق سنة خمس وخمسين علىٰ المشهور، وهو آخر العشرة وفاة.

(٢) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، مات سنة خمسين أو بعدها بسنة أو سنتين.

(٣) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، القرشي الزهري، أسلم قديمًا علىٰ يدي أبي بكر، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وما بعدها، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين.

## الصلاة وراء الأئمة والجهاد معهم والحج

ولا يترك حضور صلاة الجمعة، وصلاتها مع بَرِّ هذه الأمة وفاجرها لازم، ما كان من البدعة بريًّا فإن ابتدع ضلالًا فلا صلاة خلفه[1]، والجهاد مع كل إمام عدل أو جائر، والحج.

### الشرح

أقول: هذه الكلمة: فإن ابتدع ضلالًا، فلا صلاة خلفه. كفىٰ بالدعوة إلىٰ

(١) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٢٨٠): «إذا ظهر من المصلي -أي: إمام الصلاة- بدعة، أو فجور، وأمكن الصلاة خلف من يُعلم أنه مبتدع، أو فاسق مع إمكان الصلاة خلف غيره، فأكثر أهل العلم يصححون صلاة المأموم، وهذا مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، وهو أحد القولين في مذهب مالك وأحمد، وأما إذا لم يمكن الصلاة إلا خلف المبتدع، أو الفاجر، كالجمعة التي إمامها مبتدع أو فاجر، وليس هناك جمعة أخرىٰ فهذه تصلىٰ خلف المبتدع والفاجر عند عامة أهل السنة والجماعة. وهذا مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبلٍ وغيره، من أئمة أهل السنة بلا خلاف عندهم». [عزون]

ثمّ قال في (ص ٢٨١): «وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يصلون خلف من يعرفون فجوره، كما صلىٰ عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقد كان يشرب الخمر، وصلَّىٰ مرة الصبح أربعًا وجلده عثمان بن عفان علىٰ ذلك، وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف، وكان الصحابة والتابعون يصلون خُلف ابن أبي عبيد وكان متهمًا بالإلحاد وداعيًا إلىٰ الضلال».

القول بخلق القرآن ضلالاً، وقد وقعت في عهد الأئمة أحمد بن حنبل[(١)]، وعلي بن المديني[(٢)]، ويحيىٰ بن معين[(٣)]، وأبو عبيد القاسم بن سلام[(٤)]، والبخاري[(٥)] وإن كان صغيرًا حينذاك، وغيرهم من أهل العلم.

ومع ذلك لم ينهوا عن الصلاة خلف من دعوا إلىٰ بدعة القول بخلق القرآن، لم ينه السلف عن ذلك، فإذا كان إمامًا فالصلاة وراءه أمر مطلوب؛ لأن ترك ذلك يوجب اختلاف الكلمة، وربما يؤدي إلىٰ التقاتل وما أشبه ذلك.

إذن؛ فالمبتدع إذا كان إمامًا ودعا إلىٰ بدعة فلا يقال: إنك لا تصلي خلفه، إن أمكنك أن تجد ملاذًا فاذهب إليه ما أمكنك وإلا فصلِّ خلفه، صلِّ أولًا الصلاة في بيتك، ثم اذهب فصلِّ معه نافلة، كما قال النبيﷺ، وهذا خاص بولاة الأمر.

**قال: والجهاد مع كل إمام عدل أو جائر والحج:**

**أقول:** الحج بقيادة الإمام هو الذي حصل من أئمة الإسلام فرأوا ذلك سواء

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم، أبو الحسن بن المديني البصري، ثقة ثبت إمام، أعلم أهل عصره بالحديث وعلله، حتىٰ قال البخاري: ما استصغرت نفسي إلا عند علي بن المديني. وقال فيه شيخه ابن عيينة: كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم منّي. وقال النسائي: كأن الله خلقه للحديث، مات سنة أربعٍ وثلاثين ومائتين.

(٣) يحيىٰ بن معين بن عون الغطفاني مولاهم، أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور إمام الجرح والتعديل، ولد سنة ثمانٍ وخمسين ومائة وتوفي سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائتين بالمدينة النبوية، وله خمسٌ وسبعون سنة.

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، أحد أئمة اللغة، والفقه، والحديث، والقرآن، والأخبار، وأيام الناس، له كتاب: الأموال، وكتاب: فضائل القرآن ومعانيه، مات سنة أربعٍ وعشرين ومائتين.

(٥) تقدمت ترجمته.

كان الإمام عادلاً أو جائرًا فالزكاة تدفع إليه، والجهاد تحت لوائه والصلاة وراءه والحج بقيادته، كل هذا لازم لمن تحت يده[1].



(١) قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢/ ٥٩١) عند قول الطحاوي: «والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين بَرِّهم وفاجرهم، إلىٰ قيام الساعة لا يبطلها شيء، ولا ينقضها».
**فقال ابن أبي العز**: «لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلابد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم العدو، وهذا المعنىٰ كما يحصل بالإمام البر، يحصل بالإمام الفاجر». [عزون]

# قصر الصلاة
# والاختيار بين الصيام والإفطار في الأسفار

**وإقصار الصلاة في الأسفار، والاختيار فيه بين الصيام والإفطار في الأسفار إن شاء صام، وإن شاء أفطر.**

## الشرح

**القصر**: سنة، وليس بواجب، ولا بشرط لصحة صلاة المسافر؛ بل إن المسافر إذا صلىٰ تمامًا فقد أخطأ السنة، وصلاته صحيحة.

كذلك الإفطار في الأسفار فلك أن تصوم، ولك أن تفطر، والفطر أرجح، وإذا حصل علىٰ المسافر من الصوم مشقة كان الصوم مكروهًا.

وإذا كانت المشقة شديدة قد يصل ذلك إلىٰ تحريم الصوم، إذا كان يخشىٰ علىٰ نفسه من الاستمرار فيه، ويجب عليه الفطر.

وإذا قرب المجاهدون من العدو، ودنا وقت لقاء العدو، وجب عليهم الفطر، هذا في صيام الفريضة، أما صيام التطوع فالعبد فيه بالخيار؛ لقول النبي ﷺ لما سأله حمزة بن عمرو الأسلمي[1] عن الصيام في السفر: «**إن شئت فصم، وإن**

(١) حمزة بن عمرو بن عويمر الأسلمي، أبو صالح، أو أبو محمّد المدني، صحابي جليل، شهد فتح =

**شئت فأفطر»**[١]. وهذا يخاطب به من لا يجد مشقة في الصيام.

فإن وجد مشقة كان الأفضل في حقه الفطر؛ لقوله ﷺ: «**ليس من البر الصوم في السفر**»[٢].

وإذا تولىٰ المفطرون العمل، وخدمة الصائمين كانوا أكثر أجرًا من أهل الصيام فعن أنس[٣] رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ في السفر، فمنا الصائم، ومنا المفطر. قال: فنزلنا منزلًا في يوم حار، أكثرنا ظلًّا صاحب الكساء، ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصوام وقام المفطرون فضربوا الأبنية، وسقوا الركاب. فقال رسول الله ﷺ: **ذهب المفطرون اليوم بالأجر**»[٤].



=

الشام، وكان هو البشير للصديق يوم أجنادين.

**قال الواقدي:** وهو الذي بَشَّرَ كعب بن مالك بتوبة الله عليه، فأعطاه ثوبيه، مات سنة إحدىٰ وستين، وله إحدىٰ وسبعون. وقيل: ثمانون.

(١) أخرجه البخاري (١٩٤٣)، ومسلم (١١٢١).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥).

(٣) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين، صحابي مشهور، مات بالبصرة سنة ثلاثٍ وتسعين علىٰ الصحيح، وقد جاوز المائة.

(٤) أخرجه مسلم (١١١٩).

## اجتماع أئمة الهدى الماضين على هذه المقالات

**هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدىٰ، وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوة ورضا، وجانبوا التكلف فيما كفوا، فسددوا بعون الله ووفقوا، لم يرغبوا عن الاتباع فيقصروا، ولم يجاوزوه تزيدًا فيعتدوا.**

**فنحن بالله واثقون، وعليه متوكلون، وإليه في اتباع آثارهم راغبون.**

### الشرح

أقول: ما أحسن هذه الخاتمة التي ختم بها المزني عقيدته، وبأنه رضي لنفسه بما رضي به القوم لأنفسهم، فقال حاكيًا ما سبق ذكره: بأن التابعين قد اعتصموا وتابعوا من قبلهم في هذه العقيدة، وتركوا التكلف، فسددوا بعون الله ووفِّقوا، فالحمد لله علىٰ ذلك، وله الشكر علىٰ هذه العقيدة الواضحة المسالك، وبالله نعتصم، وعليه نتوكل، ونسأله -جل شأنه- أن يحشرنا في زمرة سلفنا الماضين، وأن يدخلنا مدخلهم في جنات النعيم، مع من: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩].

## المحافظة على أداء الفرائض والرواتب واجتناب المحرمات

فهذا شرح السنة تحريت كشفها، وأوضحتها؛ فمن وفقه الله للقيام بما أَبَنْتُه مع معونته له بالقيام علىٰ أداء فرائضه بالاحتياط في النجاسات، وإسباغ الطهارة علىٰ الطاعات، وأداء الصلوات علىٰ الاستطاعات، وإيتاء الزكاة علىٰ أهل الجدات، والحج علىٰ أهل الجدة والاستطاعات، وصيام الشهر لأهل الصحات، خمس صلوات سنَّها رسول الله ﷺ من بعد الصلوات: صلاة الوتر في كل ليلة، وركعتي الفجر، وصلاة الفطر والنحر، وصلاة كسوف الشمس والقمر إذا نزل، وصلاة الاستسقاء متىٰ وجب.

واجتناب المحارم، والاحتراز من النميمة، والكذب، والغيبة، والبغي بغير الحق، وأن يقال علىٰ الله ما لا يعلم، كل هذا كبائر محرمات.

### الشرح

أقول: هذا كلام صاحب العقيدة، ووصيته لتحري هذه العقيدة والسير عليها، فمن وفقه لله للقيام بذلك، وأعانه عليه، فذلك من فضل الله عليه، ومن تأخر عن ذلك، أو تساهل في بعضه، فأمره إلىٰ الله.

وأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأمر بالتحري والمحافظة على الطهارة، والبعد عن النجاسة ما استطاع العبد إلى ذلك سبيلًا، وإسباغ الوضوء، والعمل على ما شرع في الغسل من غسل الجنابة وغيرها.

وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟** قالوا: بلى يا رسول الله. قال: **إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط**»[1].

وأداء الصلوات الخمس المفترضة في المساجد كما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بقوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور:٣٦-٣٧].

فإن لم تستطع أداءها في المساجد فعندئذ يجوز لك الصلاة في البيت، كذلك أيضًا الصلاة قائمًا، وهذا ركن في الفرائض، لا تصح صلاتك في الفرائض قاعدًا ما دمت قادرًا على القيام، وقد أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء:١٠٣].

وقال النبي ﷺ لعمران بن حصين[2]: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب**»[3].

وأنه يأمر ويحرض على أداء الزكاة الواجبة المفروضة على أصحاب

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نجيد أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر، وشهد غزوات، وكان من سادات الصحابة، مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة.

(٣) أخرجه البخاري (١١١٧).

الأموال بِنُصُبها المعروفة في الشرع، فإن كانت في الوَرِق فهي تجب في مائتي درهم فأكثر، وإن كانت في الذهب فتجب في عشرين مثقالًا فأكثر، وإن كانت في المواشي ففي الإبل ما دون خمس وعشرين في كل خمس شاة، فإذا بلغت خمسًا وعشرين إلىٰ خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض، فإذا بلغت ستًّا وثلاثين إلىٰ خمس وأربعين ففيها بنت لبون، فإذا بلغت ستًّا وأربعين إلىٰ ستين ففيها حِقَّة، فإذا بلغت إحدىٰ وستين إلىٰ خمس وسبعين ففيها جذعة، فإذا بلغت ستًّا وسبعين إلىٰ تسعين ففيها بنتا لبون، فإذا بلغت إحدىٰ وتسعين إلىٰ عشرين ومائة ففيها حِقَّتان، فإذا زادت علىٰ عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حِقة.

وفي الغنم إذا كانت أربعين إلىٰ عشرين ومائة شاة، فإذا زادت علىٰ عشرين ومائة إلىٰ مائتين شاتان، فإذا زادت علىٰ مائتين إلىٰ ثلثمائة ففيها ثلاث شياه، فإذا زادت علىٰ ثلثمائة ففي كل مائة شاة.

وفي البقر في ثلاثين منها تبيعٌ أو تبيعة، وفي أربعين مسنة، ثم في كل ثلاثين تبيع وفي كل أربعين مسنة.

وتجب الزكاة في الحبوب كلِّها إذا بلغت خمسة أوسق.

والحج واجب علىٰ أهل الاستطاعة بوجود الزاد والراحلة ووجود النفقة لأهله إلىٰ أن يعود.

وصوم شهر رمضان فرض واجب علىٰ من قدر عليه حال كونه سليمًا من الأمراض ومقيمًا بين الأهل.

وأنه يوصي بصلاة الوتر، وصلاة الليل، والمحافظة عليها كل ليلة، والمحافظة علىٰ ركعتي الفجر، وصلاة العيدين -عيد الفطر، وعيد النحر-، وصلاة كسوف

الشمس والقمر، وصلاة الاستسقاء إذا أمر بها الإمام، أو بدت الحاجة إليها.

وأنه يوصي باجتناب المحارم -أي: المحرمات- من فروج محرمة، وأموال محرمة، لا يجوز أن تستباح الفروج بالزنا، ولا الأموال بالسرقة، والنهب، أو الغش، والكذب والدجل والتضليل.

وأنه يرىٰ تحريم النميمة والكذب والغيبة والبغي بغير الحق، وينهىٰ أن يقول العبد علىٰ الله ما لا يعلم؛ لأن الله قرن القول عليه بلا علم بالشرك به؛ قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

ويوصي بأن هذه كلها كبائر محرمات، يجب تجنبها، والبعد عنها.



**والتحري في المكاسب، والمطاعم، والمحارم، والمشارب، والملابس، واجتناب الشهوات، فإنَّها داعية لركوب المحرمات.**

**فمن رعىٰ حول الحمىٰ؛ فإنه يوشك أن يواقع الحمىٰ، فمن يُسِّر لهذا فإنه من الدين علىٰ هدىٰ، ومن الرحمة علىٰ رجاء، ووفقنا الله وإياك إلىٰ سبيله الأقوم، بمَنِّهِ الجزيل الأقدم، وجلاله العلي الأكرم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلىٰ من قرأ علينا السلام، ولا ينال سلام الله الضالين، والحمد لله رب العالمين.**

**نجزت هذه الرسالة بحمد الله ومنِّه، وصلواته علىٰ محمد وآله وأصحابه وأزواجه الطاهرات، وسلم كثيرًا كثيرًا.**

## الشرح

الواجب علىٰ الإنسان أن يتحرىٰ في المكاسب فَيُقْدِمُ علىٰ الحلال البين حله ويترك الحرام والمشتبه. فالتحري في المكاسب والمطاعم والمشارب والملابس كل ذلك من الورع الذي أوجبه الله علىٰ عباده المؤمنين.

وكذلك اجتناب المحرمات كما قد سبق.

**قوله: والمحارم**: يقصد به: الزواج.

**قوله: واجتناب الشهوات**: يعني: تجنب هذه الأشياء فإنك إذا تمشيت معها، أوردك الشيطان بها المهالك.

**قوله: فمن رعىٰ حول الحمىٰ؛ فإنه يوشك أن يواقع فيه:**

**أقول**: نعم، كما في حديث النعمان بن بشير[1] -رضي الله تعالىٰ عنهما-

---

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي له ولأبويه صحبة، وكان أول مولود ولد =

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقىٰ الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمىٰ، ألا وإن حمىٰ الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[1].

فاجتناب الشبهات مأمور به، وما أكثر الشبهات في زماننا هذا، وبالأخص في البيوعات البنكية، فينبغي احتراز المسلم عن كل ما شك في حله، ولو لم تتبين حرمته، فإنه بذلك يحتاط لدينه، ويجعل بينه وبين المحرمات حاجزًا، وهو الشبهات، فإنه إذا اجتنب الشبهات اجتنب المحرمات، وإذا وقع في الشبهات وتساهل فيها فإنه يوشك أن يقع في المحرمات.

**ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن يُسِّر لهذا، فإنه من الدين علىٰ هدىٰ، ومن الرحمة علىٰ رجاء.**

اللهم يسرنا لكل خير، وجنبنا كل شر وضير، أنت ولينا والقائم بأمورنا، نسألك أن تدفع عنا جميع الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن تقينا شرها، وتوفقنا للاستقامة علىٰ الحق إن ابتلينا بها، بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين.

وصلَّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا وحبيبنا وقائدنا وقدوتنا وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

---

=

بالمدينة بعد الهجرة للأنصار في جمادىٰ الأولىٰ سنة اثنتين من الهجرة، ولي إمرة الكوفة، ثم سكن الشام، وولي قضاءها، قتل بحمص سنة خمسٍ وستين، وله أربعٌ وستون سنة.

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) واللفظ له.

# فهرس الموضوعات

